بسمه تعالى

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة واسط
عمادة كلية الآداب
مجلة لارك للفلسفة
واللسانيات والعلوم الاجتماعية

"النزاهة اية العفة" الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
(معاً لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة في محاربة الارهاب)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
PRESIDENCY OF UNIVERSITY OF Wasit
Deanship of College of Arts
LARQ Journal FOR PHILOSOPHY, LINGUISTICS& SOCIAL SCIENCES

العدد : ٥٤٤
التاريخ : ٢٠١٦/٧/١٦

الى/ ا.د. عبد الله حبيب كاظم المحترم / كلية التربية / جامعة القادسية
الى / م.م اسراء سالم موسى المحترمة / كلية التربية / جامعة القادسية

قبول نشر بحث

نهديكم أطيب التحيات

يسرنا اعلامكم ان هيأة تحرير المجلة تدارست نتائج التقويم العلمي لبحثكم المعنون (قراءة في كتاب سيرة الغائب .. سيرة الاتي : السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين لشكري مبخوت) وقررت في ضوء ذلك قبول نشره في العدد الرابع والعشرون الذي سيصدر بتاريخ ٢٠١٧/١/١م . ١٤٣٨هـ

متمنين لكم التوفيق..... مع فائق الاحترام

الأستاذ المساعد الدكتور
محمد حسين علي السويطي
رئيس هيأة التحرير
١٩ /١٠/ ٢٠١٦م

نسخة منه الى
- سكرتارية المجلة/ الصادر

لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية هاتف نقال 07811386662
07811386662
E.Mail :nasir- wa @yahoo.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية التربية
قسم اللغة العربية

قراءة في كتاب "سيرة الغائب ..سيرة الآتي :السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين" لشكري المبخوت

أ.د. عبد الله حبيب كاظم
جامعة القادسية/كلية التربية

م.م.اسراء سالم موسى
جامعة القادسية/كلية التربية

٢٠١٦

الخلاصة

شهدت ساحة النقد السيرذاتي في العقود الأخيرة تطورا واضحا، إذ فتح المجال أمام القائمين على الدراسات النقدية إلى الخوض في الإشكاليات الكامنة خلف هذا الجنس الأدبي، فكانت السيرة الذاتية محفز الهمم ، فدأبوا على تطويع نصوصها تنظيرا وتطبيقا، عساهم يظهرون للقارئ ما تكتنز به تلك النصوص من مزايا إبداعية، وقيمة أدبية تغاضى عنها الكثير نقادا وقراء ، ويعد شكري المبخوت من النقاد الذين قدموا دراسة نقدية محكمة تضاف الى مجال النقد السيري محققة تطورا في هذا المجال ، فقد انفتح وعي هذا الناقد على الدراسات النقدية الغربية التي عنيت بنقد السيرة الذاتية مثل دراسة الناقد الفرنسي فيليب لوجون والناقد جورج ماي ، و انفتح على الدراسات النقدية العربية التي سبقته الى دراسة السيرة الذاتية ، فكان هذا النتاج المهم الذي لا غنى لدارس السيرة الذاتية من الاطلاع عليه ، إذ وضعه الناقد بعنوان (سيرة الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية في كتاب الايام لطه حسين) وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٩٢ من دار الجنوب للنشر بتونس.

اهداف الكتاب :

يهدف الكاتب في هذا المؤلف إلى هتك الحجب عن كتاب الأيام لطه حسين ، وإسقاط بعض أقنعته[١] ، لما حظي به هذا العمل الأدبي من اهتمام كبير من لدن القراء والنقاد ، فقد انشغل النّاس بالقضايا الاجتماعيّة والثّقافيّة التي طرحها الكاتب وتلك الصّورة الّتي رسمها لنفسه ، وقد أضحى كاتبا معروفا ومفكّرا ، ولم ينشغلوا بالقضايا الفنيّة الّتي أثارها، ولا في الأسلوب الذّي به كتب طه حسين أيّامه التي عاشها، لذلك فقد بقي نص الأيام به حاجة إلى دراسات تحلله وتكشف عن قيمته الأدبية والجمالية وتكشف عن أشكال اللبس والغموض فيه ، يقول الكاتب : ((على هذا وجدنا الأيام نصا ملتبسا وأصواتا متداخلة ، فأردنا أن نصغي إليه واليها عسانا نستخلص ألوان التردد فيه وأشكال اللبس ، وضروب التناغم بين مختلف حركاته وأصواته))[٢] .

المنهج

يمكن القول أن الناقد اعتمد منهجا تكامليا ، ليحاول إظهار قيمة النص للقارئ ، إذ يقول: ((وقد دعتنا قيمة النص في عيون قرائه من جهة ، وندرة الدراسات التي تناولته بالتحليل الداخلي من جهة أخرى إلى أن ندلي فيه برأي))[٣]، إلا أن الناقد لم يوضح الآلية التي اعتمدها في توزيع المناهج النقدية في تحليله لنصوص طه حسين، وكان يجدر به أن يشير إلى ذلك في مقدمته للكتاب.

إن اهتمام الناقد بمنهج القراءة والتلقي[٤] ، يتضح من اهتمامه بالقارئ ، وهذا الاهتمام جعله يقسم القراء على أصناف القارئ ((المتقبل)) و((القارئ الواقعي))[٥] ، ويقسم القراءة على ((قراءة عادية)) و((قراءة يقظة))[٦]، إذ إن القراءة لنص (الأيام) هي ليست عملية إمتاع بل هي فعل في التأريخ، فـــ ((أن تقرأ–عند طه حسين– هو أن تفعل في التاريخ))[٧].

ويرى المبخوت أن طه حسين لم يقم على عادة كتاب السير الذاتية بالتعبير عن حياته

الشخصية فحسب بل كانت غايته تغيير ما بالنفوس والعقول والمجتمع ، وعبر عن نص (الأيام) بأنه نص مستبد عادل، إذ يجبر قارئه على أن يكون مثل بطله ولكنه يدعوه إلى ذلك في رفق ولين[٨]. وعلى هذا تكون إشكالية الكتابة في (الأيام) مفضية إلى إشكالية القراءة، لذلك يجب أن يكون قارئ الأيام قارئا يقظا متمكنا من كشف ملابسات النص الذي وصفه بأنه ((مخادعا مخاتلا ،محيرا مربكا مادام الإنسان المنشود مختفيا لا يصنع التاريخ على مثال الفن))[٩] .

وبرز تسخير الناقد لموضوعات النص ودلالاته لخدمة قراءته التأويلية[١٠]وما بعدها، مثل: موضوع السياج[١١]، والزمن[١٢] ، والضمير[١٣]، والحجاج والسخرية.[١٤]

توصيف العمل النقدي

تكلم الناقد بلمحة موجزة عن السيرة الذاتية بقسميها القديمة والحديثة[١٥] ، في القسم النظري من دراسته ، وقد أقام تصنيف السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم على ثلاثة أصناف هي: (السيرة الشهادة) و(السيرة التربوية) و(سير المغامرات)[١٦]، ويبدو لنا أن الناقد أخذ تلك التقسيمات من إحسان عباس في كتابه (فن السيرة) ، إذ إن الصنف الأول الذي أدرجه بعنوان (السيرة الشهادة) يضم صنفين عند إحسان عباس هما: (الصنف الإخباري)[١٧]، و(الصنف الذي يكتب للتفسير والتعليل والاعتذار والتبرير)[١٨]، إذ يرى المبخوت أن كتاب ذلك الصنف هم ممن وضعوا سيرهم ليسجلوا ما عايشوا من أحداث ومواقف سياسية و أنها لا تخلو من نزعة خفية للدفاع عن النفس ، ومنهم ابن خلدون في كتابه((التّعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا))[١٩].

أما الصنف الثاني الذي يقع بعنوان (السيرة التربوية)[٢٠]، فهي تعادل ما أطلق عليه إحسان عباس في الصنف الثالث من السير الذاتية القديمة بـــ(صنف يصور الصراع الروحي)[٢١]، إذ يرى كلا الناقدين ، أن هذا الصنف يضم السير الذاتية التي كتبها أصحابها ليصوروا فيها تجارب روحية وفكرية ، وقصدوا إقناع الناس بما امنوا به من تجارب ومعتقدات، واستشهد كلاهما بالغزالي في سيرته (المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال) نموذجا لذلك الصنف، أما الصنف الثالث في كتاب المبخوت وهو (سير المغامرات)[٢٢]، فهو أيضا يعادل ما اسماه عباس (صنف يقص قصة المغامرات في الحياة)[٢٣]وهو الصنف الرابع من تصنيفاته للسيرة الذاتية في الأدب العربي القديم ، وكلاهما استشهد بأسامة بن منقذ في (كتاب الاعتبار) بوصفه مثالا لذلك الصنف الذي يكتبه أصحابه لوصف مغامرات ومشاهدات مثيرة.[٢٤]

ويرى أن الأدب العربي القديم عرف سيرا ذاتية ولكن ليس بمفهومها الاصطلاحي الحديث، ولا بمفهومها الفني المعاصر وإنما كانت مشدودة إلى مبادئ ثقافية عامة تتصل برؤية العربي قديما لنفسه وللكون والآلهة[٢٥] .

أما السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، فإن شكري المبخوت يصفها بأنها شكل روائي، لذلك كانت أسباب نشأة الرواية في عمومها مفسرة لنشأة السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث إلا إن السيرة الذاتية تروي قصة حياة فردية[٢٦].

وهو رأي صائب من الناقد إذا ما عرفنا أن السيرة الذاتية هي أقرب الأنواع إلى الرواية فبالرغم من التباين النوعي بين الجنسين غير ان كليهما ينهض على قالب قصصي، فـــ((السيرة الذاتية المستعادة بوعي مسلط على الماضي (بكونه مجموعة أحداث ومواقف ورؤى) حاول حيازة (الماضي) بتأطيره سرديا عبر الرواية))[٢٧] .

وعد جيل طه حسين ومن عاصره من الأدباء وهم العقاد والمازني وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وسلامة موسى هو الجيل الذي بدأت معه كتابة السيرة الذاتية في خطواتها الأولى، وأصدروا كتاباتهم السيرذاتية ، نظرا لما عايشوه من ظروف طبقية وفكرية وسياسية تزامنت مع الحرب العالمية الأولى، دفعت بالإنسان المثقف إلى إعادة التفكير في وجوده ومنزلته الإنسانية ، فضلا عما عايشوه من رؤى حديثة مستقاة من الغرب وتأثرهم بالنزعة الليبرالية جعلهم يتصدون للموروث[٢٨].

ويبدو أن إبراهيم عبد الدايم سبق المبخوت في نظرته إلى (الأيام) بأنها دعوة خفية إلى ضرورة الالتقاء بالثقافة الغربية من أجل تطوير البيئة التي عانى طه حسين من تخلفها وجهلها ، وهي دعوة إلى تغيير نظرة المجتمع المتزمتة ومسلماتها في القضايا الفكرية والأدبية ، لأن هذه النظرات والمسلمات والموروثات هي العقبات نفسها التي اعترضت سبيل نضجه الثقافي[٢٩].

وقد حاول جيل طه حسين الربط بين الذاتي والاجتماعي من أجل غرس رؤيتهم الحديثة في الفضاء الفكري والاجتماعي المصري[٣٠]. وهذا يجعل تطور هذا الجنس المرتبط بهياكل المجتمع وأبنيته الذهنية مرتبطا بما يبلغه نظام القيم عند العرب من درجة في الإيمان بحرية الفرد وحقه في الاختلاف[٣١]، إذ إن ((السيرة الذاتية لا تمثل إشكالية فنية (شكل تعبير) فحسب بل تمثل بالخصوص إشكالية ثقافية اجتماعية بما يمكن أن تقاس به بعض فضاءات الحرية في المجتمع))[٣٢] . ويؤكد شكري المبخوت أن هناك أمرا دقيقا وراء رفع الايام عن سياقه التأريخي درجات ، فهو لم يكتب للرد على الخصوم وتسوية الحساب مع التاريخ[٣٣] وإلا لتحولت (الأيام) الى شهادة[٣٤]، وهو بذلك يخالف الفكرة الشائعة لدى جل من كتب عن (الأيام) من الدارسين.

ومن الملاحظ هنا أن الناقد عزف عن تصنيف السيرة الذاتية الحديثة ، كما فعل مع نظيرتها السيرة الذاتية القديمة ، على الرغم من أن دراسته تدور في نطاقها ، والنص المختار للدراسة والتحليل هو نص حديث ، وهو (الأيام) لطه حسين .

وتمكن من التنبه للطريقة المتميزة في السرد التي استعملها طه حسين في كتابه، إذ إن البحث في (الأيام) ((لا يعني البحث عن بلاغة النص بقدر ما يعني البحث فيما يقع وراء بلاغة النص))[٣٥] ، لذلك فهو يصف مكونات البناء الفني لنص الأيام بـــ(اللعبة) فيقول : ((اللعبة السردية))[٣٦] ((لعبة الضمائر))[٣٧]، ((لعبة الأزمنة))[٣٨]، ويستعين الناقد بمصطلحات مستعارة من معارف وفنون أخرى مثل مصطلح (صناعة)[٣٩]و(سياسة)[٤٠] ويوظفها في لغته النقدية للحديث عن محطات غنية وخصبة في النص والكشف عن دلالاته العميقة والغامضة.

وفي لعبة الضمائر ، يرى المبخوت أن وراء استعمال ضمير الغائب مقاصد وخفايا دفينة يخفيها الكاتب لا تتوضح من القراءة الاولى للنص[٤١]، وان استعمال هذا الضمير يؤسس إلى إغراء القارئ ودفعه إلى فهم مقصدية الكاتب.[٤٢]

ومع اختلاف نظرة الدارسين في دلالة ضمير الغائب في نص الايام[٤٣]، فان المبخوت يرى بأن القول بالالتزام بضمير المتكلم في النص السيرذاتي باعتباره الأقرب إلى الذات ، هي فرضية ساذجة بالرغم من فائدتها إجرائيا [٤٤]، لأن طه حسين عندما يخفي ذاته خلف ضمير الغائب فإنه يوجه نصه للقارئ الذي يصل الى الدلالة التي تقف خلف هذا الضمير ، وليس الى القارئ الذي يجنس النصوص استنادا الى ضمير السرد فيها.[٤٥] وهناك من النقاد من يذهب الى ما ذهب اليه المبخوت فيرى ان الابتعاد عن ضمير المتكلم في السرد السيري هو تحقيق للمصداقية ، وتقمص الشخص الذي كانت هيأة كاتب السيرة عليه قبل كتابتها[٤٦] .

وقد أولى الناقد الروابط الزمنية في نص (الأيام) أهمية كبيرة لما تتركه من دلالات عميقة تضمنتها الاحداث بما يحقق انسجاما مع البناء الفني المتكامل في النص، فالإشكالية الزمنية في كتاب الايام تتمثل بالتنافر الزمني بين زمن الخطاب وزمن الخبر ، وقد فصل الناقد فيها بعنوان (لعبة الازمنة) ليبين (الحضور القاهر للذاكرة وهي ذاكرة قادة على

اختراق الحواجز الزمنية في الفصل الواحد))[٤٧] ، ويعلل الناقد ذلك التلاعب بالزمن الحاصل في الفصول المتعاقبة ، او داخل الفصل الواحد يرجع الى الصبغة القصصية للنص كونه شكلا روائيا وليس نصا تأريخيا لا يتطلب الترتيب المنطقي للأحداث[٤٨].

ومن التقنيات التي رصدها الناقد في تحليله لنص الأيام فضلا عن تقنية الاسترجاع الأساس الذي يقوم عليه السرد السيرذاتي ، هي تقنية الاستباق وهي تقنية ((لا تتضمن مجرد وظيفة الاخبار بل هي "فاتحة" قوامها إيحاء يشف عن دلالته في النص بعد ذكره))[٤٩]، وتقنية الحذف التي اسماها ((الأزمنة المضمرة))[٥٠] وهي مسكوت عنها في النص، وطه حسين لا يحرف الزمن باستعمال التقنيات الزمنية فحسب بل يعمل على جمع لحظات زمنية متباعدة لصلات غرضية بينها عمادها التماثل والتشابه ، وتلك اللحظات المتباعدة تجمعها فضاءات موحدة مثل البيت والمسجد ومجالس العلماء ، لذلك فهو يحدد الزمن بالأمكنة . ويسخر الناقد ذلك الخرق الزمني لخدمة قراءته التأويلية، فيستنتج أن ذلك يجعل القارئ يستخلص الدلالات الاساسية التي تضمنتها الاحداث ، فقد تناسى الراوي لبعض الذكريات وحذفها ليحقق انسجاما فنيا لم يكن ليحققه لو خضع لمنطق التعاقب الزمني ، وهذا يعني ان الماضي خضع للانتقاء تحت سلطة الذاكرة وسطوة الحاضر بما ينسجم مع فنية النص بما لا يسمح فيه بتتابع الأحداث وتراكم الوقائع[٥١].

أما الشخصية وهي عنصر مهم في البناء الفني وعماد النص السيرذاتي وضرورة يقتضي تحليلها والتركيز عليها في إثبات تحقق التطابق ،فقد أولاها الناقد أهمية كبيرة تفصح عن وعيه لقراءة صورها المتنوعة والمتطورة واختلاف رؤاها وافكارها في نص سبك بهذا الدهاء والحيلة وهو نص (الأيام) ، فقد حدد الناقد الشخصية الرئيسة في النص في صورتين هما صورة (الصبي) وصورة (الكهل) ، وتلك الشخصية الرئيسة واقعة تحت تأثير ضغطين ضغط واقعيتها وضغط اندراجها ((في شكل روائي له خصائصه التخييلية))[٥٢]، وهو هنا يجتهد في تحديد السمات الدلالية المستخلصة من الشخصية الكائنة في النص بثلاث علامات توضح مراحل تطورها وانتقالها في النص ، وتتمثل تلك العلامات بالآتي :

١- التكرار الذي يمثل حضورها الدائم في النص.

٢- التحول الذي يمثل تحول الشخصية من صبي يعاني الفقر والعمى إلى رجل عالم وحافظ للقرآن.

٣- المخالفة وتتمثل بمقابلة الشخصية مع الشخصيات الاخرى ، فهو أعمى قد يسخر منه الاخرين من حوله ، إلى رجل يصل مرحلة في العلم والمعرفة إلى درجة تجعله يسخر من علماء الازهر وشيوخ القرية[٥٣].

أما عن تجنيس الأيام واختلاف النقاد والدارسين في ذلك فإن شكري المبخوت يرى أن (الأيام) ((تروي قصّة حياة حقيقيّة في شكلّ روائيّ له خصائصه التخيّليّة))[٥٤]، وحتى يثبت سيرية النص المختلف عليه ، بحث في الكشف عن الميثاق السيرذاتي وركز بشكل أساس على مقصدية الكاتب[٥٥] إذ عنون به المبحث الخامس من الباب الرابع. ويرى مبخوت أن مقصدية طه حسين من وراء تأليفه للأيام هي ((الإيقاع بالمتقبل))[٥٦]، ويبدو أن المبخوت أراد بـــ(المتقبل) القارئ والناقد المعاصر المتقبل للجديد ،لاسيما وان الفترة التي ظهر بها كتاب الأيام هي فترة التغيير في مسار الأدب والابتعاد عن المورث والقديم، وكان طه حسين مع من عاصروه من أدباء عصره منشدين إلى الجديد ومتأثرين بالآداب الغربية، لاسيما أن طه حسين قد حصل على شهادته الجامعية من فرنسا، وكان لهذا الأثر في توجه ثقافته .

فطه حسين- بحسب ما يراه الناقد- لم يكتب الأيام للقارئ الذي لا يستسيغ غير الحقائق وكل ما هو مألوف وبديهي، وليس له القدرة على فك شفرات النص وخفاياه ، وإنما كتبها إلى القارئ (المتقبل)[٥٧]، بحسب ما اسماه المبخوت ، الذي يتمكن من استقبال أفكار النص وفهم قضية الكاتب.

وكانت مقصدية طه حسين تتجه إلى تشجيع المتلقي وطلابه في التعليم الثانوي على القراءة وتقبل التغيير انسجاما مع متطلبات هذا التغيير في مطلع القرن العشرين ، ((وما هذا القارئ الذي نحت طه حسين ملامحه وحمله على تجديد عاداته في القراءة بربط التنوير بالتغيير إلا وجه أدبي لإنسان تاريخي منشود :إنسان العقل والعلم والإرادة القوية))[٥٨] .

وبحث المبخوت في موضوع التطابق في القسم الثاني من الدراسة[٥٩]، الذي هو عنصر أساس في تحقق المشروع السير ذاتي للنص ، ولما كان طه حسين يريد كتابة واقعه الشخصي في قالب فني فهو به حاجة إلى توظيف ذلك الواقع بما يلائم مع الفن القصصي ، فهو لا ينقل الواقع كما حدث بالفعل وإنما ينقله محاكاة تجعل من القناع ذات أهمية أكبر من أهمية الوجه الحقيقي للشخصية، لذلك يرى شكري المبخوت أن هناك ((مسافة جمالية" يخلقها النص بين حقيقتين: حقيقة اتصال المؤلف فعليا بالراوي والشخصية وحقيقة انفصال الجميع نصيا))[٦٠]، وتبلغ الصلة بين الراوي والبطل أحيانا إلى حد التماهي والتطابق[٦١]، ويعلل الناقد سبب هذه اللعبة السردية في خلط الأوراق ، والجمع بين التماهي والتطابق قائلا: ((ولا تفسير عندنا لأسرار الراوي إلى البطل إلا أنهما شخص واحد يتقاسم دورين مختلفين متكاملين، وهو اختلاف اقتضاهما القص من مراوحة بين خبر وخطاب وهو تكامل اقتضاه ما للسيرة الذاتية من اتحاد ضروري بين المخبر والمخبر عنه))[٦٢]، و إن قناع الراوي هنا يترك النص ملتبسا ، فلا تأتي عليه الأنظار مهما تكن ثاقبة[٦٣]، ولأن طه حسين يؤكد أن الأدب يجسد الموقف الشخصي للأديب ويركز على الذات في كتابة نصه (الأيام)[٦٤]، فإن الناقد يستخلص من ذلك أن (الأيام) ((سيرة ذاتية واقعة في حيز فاصل بين الواقع المفترض والواقع المنجز قصصيا))[٦٥]، فطه حسين لا يعنيه ما توصل إليه الدارسون في تجنيس نصه سواء أكان سيرة أم رواية ، لأن الدافع بالنسبة له هو التأثير لا التعبير[٦٦]، ثم حمل القارئ على التغيير بعد تأثره بالنص ، لأن طه حسين صاحب مشروع فكري فهو لا يكتب للإمتاع المحض ، إنما يحاول إقناع القارئ بأفكاره.[٦٧]

وقد أفرد الناقد الباب الرابع من القسم الثاني من الدراسة المعنون (قراءة في كتاب "الأيام" لموضوع ((سياسة الكلام في الأيام))[٦٨]، واهتم في هذا الباب بالكشف عن ((الكيفية التي طور بها طه حسين الكلمات والمدلولات في نصه لإبلاغ القارئ محتوى رسالته ، فهذه السياسة تتضمن البرنامج الذي وضعه صاحب الأيام فاصطفى له طرائق في السرد مخصوصة وجعلها تضمر المقاصد العامة، ومن ثمة التساؤل عن سياسة الكلام في "الأيام" لا يعني البحث في بلاغة النص بقدر ما يعني البحث فيما يقع وراء بلاغة

النص من دوافع خفية ومقاصد عامة تكشف عنها أشكال انتظام الخطاب أو بعض تلك الأشكال))[٦٩]، وإذا تأملنا كلام الناقد إننا نستشف منه أن طه حسين استطاع ان يحقق تفردا وتميزا في نصه يتمثّل في رغبة واضحة لديه في الاستعلاء على الموقف والعالم الذي يتحدث عنه في نصه الأيام ، فهو يتعمّد الفصل بين شخصيّة المؤلّف و شخصيّات الكتاب مازجا مزجا ذكيا بين آليات السيرة الذاتية وآليات الرواية وبين الواقع والخيال وبين الوقائع والمشاعر وبين الراحة والتفاخر والألم والحرمان ، كل ذلك جعله يعرض للقارئ بأسلوب شيق مراوحا بين افكاره الميالة للتحديث وصلته بالتراث والافكار الثقافية في سياقها التأريخي، ((وما اختراق طه حسين لقواعد السيرة الذاتية – في هذا الجانب على الأقل – إلا دليل على انه كان يقصد إلى الابتداع وجعل كتابه يغري ويتمنع فيحافظ على بعض سره دون أن تهتكه الدراسات مهما تكاثرت))[٧٠] .

واجتهد الناقد في الباب الثالث من القسم الأول من الدراسة المعنون بـــ(("الأيام" وقضية الجنس الأدبي))[٧١] ، في استعراض ومحاورة جهود الدارسين لعمل طه حسين "الأيام" ، وهو بهذا الموضوع لا يقوم باطلاع القارئ على الآراء النقدية التي خاضت في هذا النص فحسب ،وإنما يحاول تقويم بعض الآراء وتصحيحها ، ويبدي ردوده عليها ، ويقدم أدلته على ما يفترضه أو يضيفه في قضية ما ، ومما يلفت انتباهنا هنا قضية نقده لعبد المحسن طه بدر ، الذي يرى أن نص "الأيام" يحمل صفات السيرة والرواية معا أو يقترب حينا من الرواية وحينا من السيرة ، يقول شكري المبخوت: ((وتبدو لنا مشكلة طه بدر عائدة إلى أخذه بتصور قليل الحظ من الدقة في شأن المميزات بين الرواية والسيرة الذاتية . فمفهوما "الرابطة الخارجية" و"الرابطة الداخلية" لا يفيدان كثيرا في هذا الباب .ثم إن التحليل الداخلي للرواية والسيرة الذاتية يثبت أن الفرق بينهما – نصيا – يكاد يكون منعدما فلا بد من التفكير في معايير أخرى.))[٧٢]، ونحن نتفق مع الناقد في حكمه على عبد المحسن طه بدر ، فهو من جهة لا يريد أن يظلم الكاتب بتجنيس نصه على انه رواية، ومن جهة ثانية يرفض ان تكون (الأيام) سيرة ذاتية للمؤلف لعدم وضوح الميثاق وقانون التطابق وخرق طه حسين لقواعد السيرة الذاتية، بالرغم من قوله: إن الرابطة التي تربط بين الصور والمواقف تحيل الى خارج النص[٧٣]، وبذلك فإن حكمه لا ينم عن

دقة في التفتيش في ثنايا النص ، ونحن نجد ان ذات المؤلف حاضرة بما يستعيده من ماضيها مسلطا عليه وعي الحاضر المتمثل بـــ(زمن الكتابة) ،وهذا يقود الى تحقق المطابقة التي تقوم عليها السيرة الذاتية والتي تختلف عن المشابهة التي تقوم عليها الرواية، اما استعماله لضمير الغائب فلأنه يسرد ماضيا انقضى لصبي جسد طه حسين ألمه ووحدته ووحشته، ومجتمع رفض واقعه المعدم والمتخلف فاراد وصفه بصدق من وجهة نظر راهنة لحظة الكتابة فجاء أسلوبه أسلوب حر بتميز حسه الأدبي والسيرذاتي .

وفي حقيقة الأمر إننا عندما نراجع كلام عبد المحسن طه بدر عن السيرة الذاتية نجد انه تناولها عرضا من باب مساهمتها في تطوير الرواية ، لذلك فهو لم يهتم بالسيرة الذاتية بحد ذاتها بوصفها جنسا أدبيا مستقلا ، وتحدث عن النصوص المؤسسة للسيرة الذاتية مع بداية القرن العشرين ، والظروف التي هيأت لكتاب تلك النصوص المناخ الثقافي لأحداث التحول الفكري في مصر والبلاد العربية فاستثمروا سيرهم الذاتية في فنهم الروائي.[٧٤]

أما المبخوت فهو يسير على خطى عبد المحسن طه بدر ، لأنه ينظر إلى السيرة من باب علاقتها بالرواية ، ودليل ذلك قوله: ((تظل السيرة الذاتية على ما فيها من خصائص شكلا روائيا))[٧٥] ، وتطرق أيضا الى ما تطرق له بدر عن الانتقالة الثقافية التي شهدتها مصر والتي أدت بدورها الى التأسيس لجنس السيرة الذاتية [٧٦] .

ويركز الناقد في دراسته لنص "الأيام" على الفصلين الأول والعشرون ، إذ يقول: ((وتشف القراءة المقارنة بين بداية الأيام ونهايتها عن صورتين للبطل مختلفتين ،وهذا يعني مبدئيا أن المسار القصصي اتبع خطا متدرجا تحولت فيه الشخصية .فصورته الأولى كانت من صباه وصورته الأخيرة من مرحلة اكتهاله))[٧٧] .

ويسوغ الناقد تركيزه على هذين الفصلين فيقول: ((قصدنا الآن ينحصر في بيان الترابط العميق بين فصول "الأيام" من خلال البداية والنهاية فلانتقال من الفصل الأول إلى خاتم الفصول إنما هو انتقال من حال إلى حال ومن صورة إلى صورة ومن صبي إلى كهل ومن ماضي إلى حاضر))[٧٨]، ونحن لا نوافق مع الناقد في اختزاله لثمانية عشر فصلا لأجل إعطاء فكرة عجولة ومختصرة عن حياة الشخصية في بداية تكوينها ثم صورتها

المغايرة المتناقضة في الفصل العشرين والأخير ، وإن افترضنا أن الناقد استنتج أن علاقة التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية المركزية (الصبي/الكهل) تتضح أكثر في هذا الفصل بعد أن تعسر تأكيدها في الفصول الأخرى، بما يجعل الفصل الأخير ذا أهمية قصوى بالنسبة للباحث، إلا أننا لا نراه سببا كافيا للتقليل من أهمية الفصول الأخرى.

و إننا لا نجد مسوغا في تركيز الناقد على موضوعة "السياج" من بين العبارات والموضوعات التي وردت في "الأيام" على الرغم من محاولة الناقد تسويغ ذلك ، إذ يعد دلالة "السياج" أوسع من دلالته معجميا أو قصصيا في سياق تتابع الأخبار في الخطاب . وإن الراوي كرر عبارة السياج في أكثر من زاوية في النص فبدت متضمنة لطاقة دلالية إضافية[٧٩] .

ولاحظنا أن الناقد لم يوضح دواعي اختياره للفصل الأول من كتاب "الأيام" من دون باقي فصول الكتاب العشرين لدراسته في القسم الثالث من الكتاب المعنون ((انموذج تطبيقي الفصل الأول من كتاب الأيام)) ويكتفي بالإشارة إلى الدراسات النقدية التي سبقته في دراسة هذا الفصل من الأيام.[٨٠]، وأنه يعود للتركيز على موضوعة السياج في دراسته لهذا الفصل ويسوغ ذلك بقوله: ((إن السياج في تقديرنا درة الفصل الأول وواسطة العقد فيه إجمالا وهذا تفصيله :أن بروز ذكرى السياج يعني تبلور ما اسماه أهل العلم بالسيرة الذاتية "أسطورة الذكرى الأولى"))[٨١] .

ومما لاحظناه أن مبخوت لا يتجنب الوقوع في إعادة المضامين تحت مسميات مختلفة ، فهو في الموضوع الثاني المعنون (صيغة التفضيل)[٨٢]، من الباب الرابع المتضمن (نحت النموذج) يتحدث عن مقصدية الكاتب ، في حين كان بإمكانه أن يتحدث عن ذلك في الموضوع الذي خصصه لمقصدية الكاتب، وهناك تداخلا بين الباب الثالث المعنون بـــ(لعبة الضمائر)[٨٣]، والباب الخامس المعنون بـــ(الوجه والقناع قول في استحالة السيرة الذاتية)[٨٤]من القسم الثاني من الدراسة ،فهو تكرار للحديث عن التطابق بين الأنوات الثلاث في نص (الأيام) وبذلك تصبح هناك إعادة للمضامين في كتابه.

في تبويب الكتاب

لم يعتمد الناقد طريقة منظمة لتبويب مادة كتابه ، إذ نراه يعتمد في تقسيم أجزاء كتابه الرئيسة على طريقة الأرقام الرومانية (1-11-111)، ثم يتبعها بالأبواب ،(الباب الأول، الباب الثاني ،الباب الثالث...) ثم يقسم تلك الأبواب باستعمال طريقة الترقيم باللغة الإنجليزية (...3-2-1) ويقسم تلك الأقسام على فروع أخرى باتباعها ترقيما جديدا بالطريقة الآتية: (4-1 ثم 4-1-1 ثم 4-1-2) ، وتلك الطريقة بالتقسيم تجعل من يقدم دراسة في كتاب (سيرة الغاب .. سيرة الآتي) لشكري المبخوت يواجه صعوبة في تسمية أقسام الكتاب ، فلا يجد أمامه إلا أن يقول القسم الأول من الدراسة والقسم الثاني...وهكذا ثم تسمية الأقسام المتفرعة عن الأبواب والمقسمة على شكل أرقام انكليزية ، المبحث الأول من الباب الثاني والمبحث الثاني من الباب الثاني ...وهكذا

وبما أن أبواب الكتاب صغيرة الحجم لذا كان يتوجب على الناقد بتسميتها فصولا ، ثم يقسم تلك الفصول على مباحث أو أن يرقم موضوعات الفصل بـــ(أولا ، ثانيا، ثالثا، رابعا...) وهكذا، لأن الأبواب تتسع لعدد اكبر من الصفحات .

هوامش البحث

---

(١)ينظر سيرة الغائب سيرة الاتي :٨ .

(٢)م.ن:٤٧.

(٣)م.ن: ٧ .

(٤)ينظر، م.ن: ١٢١ ،١٤٠ .

(٥)م.ن: ١٤٢ .

(٦)م.ن: ٤٤ .

(٧)م.ن: ١٤٢ .

(٨)م.ن: ١٤٢ .

(٩)م.ن: ١٤٣ .

(١٠)ينظر، م.ن: ٩٨ .

(١١) ينظر م.ن:١٥٧-١٦١ .

(١٢)ينظر، م.ن: ٧٣ .

(١٣)ينظر ، م.ن: ١٠٠ .

(١٤)ينظر، م.ن: ١٢٠ .

(١٥)م.ن: ٢٤-٣٢

(١٦)م.ن: ٢٥ .

(١٧)فن السيرة: ١٢٣-١٢٤ .

(١٨)م.ن: ١٢٧-١٢٨ .

(١٩)سيرة الغائب سيرة الآتي: ٢٥ .

(٢٠)م.ن: ٢٥ .

(٢١)فن السيرة: ١٣٦ .

(٢٢)سيرة الغائب سيرة الآتي: ٢٥ .

(٢٣)فن السيرة: ١٣٨ .

(٢٤)سيرة الغائب سيرة الآتي: ٢٥ .

(٢٥)سيرة الغائب سيرة الآتي: ٢٦.

(٢٦)م.ن: ٢٨.

(٢٧)الذات الممحوة بالكتابة حول الصراع السيزيفي في سيرة فدوى طوقان الذاتية –رحلة جبلية ..رحلة صعبة:١٤٨ .

(٢٨)سيرة الغائب سيرة الآتي:٢٨، وينظر الكتابة والوجود:٢٤ .

(٢٩)الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٣٩١ ينظر عندما تتكلم الذات:٢٤ .

(٣٠)ينظر ، سيرة الغائب سيرة الآتي: ٣١ .

(٣١)م.ن: ٣١ .

(٣٢)م.ن: ٣٢ .

(٣٣)م.ن: ١٠٥ .

(٣٤)م.ن: ١٠٦ .

(٣٥)م.ن: ١٠٥ .

(٣٦)م.ن: ١٠٤ .

(٣٧)م.ن:٧٦، ١٠٤ .

(٣٨)م.ن: ٦٩ .

(٣٩)ينظر، م.ن:٤٨ .

(٤٠)ينظر،م.ن:١٠٥ .

(٤١)م.ن:٩٣ .

(٤٢)ينظر م.ن:٩٩ .

(٤٣)ينظر، فن السيرة:١٤٥ ، وينظر، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٤٢٤ ، وينظر، البوح والترميز القهري:١٨٩ .

(٤٤)ينظر، سيرة الغائب سيرة الاتي:١٠٠ .

(٤٥)ينظر م.ن:١٠٠-١٠٤ .

(٤٦)البوح والترميز القهري:١٨٩ .

(٤٧)م.ن: ٧١ .

(٤٨)ينظر ، م.ن:٧٣ .

(٤٩)م.ن:٧٠،٧١ .

(٥٠)م.ن:٧٢ .

(٥١)م.ن:٧٤ .

(٥٢)م.ن:٧٧ .

(٥٣)ينظر، م.ن: ٧٩ .

(٥٤)م.ن:٧٧ .

(٥٥)م.ن: ١٢٩ .

(٥٦)م.ن: ١٠٥ .

(٥٧)م.ن: ١٠٥ .

(٥٨)م.ن: ١٤٣ .

(٥٩)ينظر ، م.ن: ٨٧ .

(٦٠)م.ن: ٩٩ .

(٦١)م.ن: ٨٩ .

(٦٢)م.ن: ٩٠ .

(٦٣)م.ن: ٩١ .

(٦٤)ينظر م.ن:١٠٧ .

(٦٥)م.ن: ١٣٥ .

(٦٦)م.ن: ١٠٦ .

(٦٧)ينظر: م.ن: ١٤٣ .

(٦٨)سيرة الغائب سيرة الآتي: ١٠٥ .

(٦٩)م.ن: ١٠٥ .

(٧٠)م.ن:٤٣ .

(٧١)م.ن: ٣٢ .

(٧٢)م.ن: ٣٤ .

(٧٣)ينظر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر:،٣٠٦،١١٢، ٢٩٧ .

(٧٤)ينظر، م.ن:٢٧٣-٢٨٧، وينظر، الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب، عبد القادر الشاوي:٢٤ .

(٧٥) سيرة الغائب سيرة الاتي : ٢٨ .

(٧٦)ينظر م.ن:٢٨ .

(٧٧)م.ن: ٥٦ .

(٧٨)م.ن: ٥٦ .

(٧٩)ينظر، م.ن: ٥٧ .

(٨٠)ينظر، م.ن: هامش ص ١٤٨ .

(٨١)م.ن:١٦ .

(٨٢)ينظر، م.ن:١٠٩ .

(٨٣)ينظر، م.ن:٧٦ .

(٨٤)ينظر، م.ن:١٣٢ .

المصادر والمراجع

١. البوح والترميز القهري الكتابة السيرذاتية: تنويعات ومحددات (دراسة نقدية)، د.حاتم الصكر، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة،٢٠١٤.

٢. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٤.
٣. تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، عبد المحسن طه بدر (١٨٧٠-١٩٣٨م)، دار المعارف، القاهرة ، ط ٤، ١٩٨٣
٤. الذات الممحوة بالكتابة: حول الصراع السيزيفي في سيرة فدوى طوقان الذاتية: رحلة جبلية – رحلة صعبة، حاتم الصكر، مجلة راية مؤتة، جامعة مؤتة، الأردن، المجلد٢، العدد١ لسنة ١٩٩٣.
٥. سيرة الغائب. سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين، شكري المبخوت، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٢.
٦. عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الادب العربي الحديث ، محمد الباردي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق،٢٠٠٥.
٧. فن السيرة، د. إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٥، عمان، ١٩٨٨
٨. الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب، عبد القادر الشاوي، دار افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠ .